.. وأقبل الشتاء

كَطائرٍ .. مُحَطَّمٍ .. مُمزَّق الجَنَاحْ ..
قدْ بَاتَ فى مَسائِهِ .. يُعانِقُ الجِرَاحْ ..
.. يُودِّعُ الأمَلْ
وأَيقَنَ ارتِعاشَةَ الرَّحِيلِ فى الدِّماءْ ..
.. فَراحَ يَنتَظِرْ
تَكوَّمَتْ .. بِجانِبِ الجِدارِ فى المَسَاءْ
عُيُونُها فَضَاءْ
شُعُورُها تَمَزُّقٌ ..
ودَمْعُها دِمَاءْ
ولَيلُها مَرارَةٌ .. ووِحدَةٌ .. وجُوعْ
لقدْ مَضَى الرَّبِيعْ ..
وأَقْبلَتْ فى إِثرِهِ .. بَوادِرُ الفَناءْ ..
.. عَواصِفُ الشِّتاءْ
بُرُودَةٌ تَدورْ..
بُرودَةٌ .. تَلُفُّ فى رِدائِها العَجِيبْ ..
.. حَرارَةَ الحَياةْ

فَيُنشِبُ المَشِيبْ ..

بِرَأسِها مَخالِبًا .. بَيَاضُها رَهيبْ

وتَحفُرُ السِّنونْ ..

.. بِرُوحِها .. .. بِقلبِها .. شَواحِبَ الغُضُونْ

وتَنطَفِى حَرارَةُ الشَّبابِ فى العُيونْ ..

.. وتَنْضُبُ الدِّماءْ

فَليس فى عُرُوقِها سِوَى لَظَى الألَمْ ..

.. ونَبضُها نَدَمْ

وكُلُّ ما يَلُفُّها .. يُمثِّلُ الفَناءْ ..

.. يُجسِّدُ العَدَمْ ..

.. فَقَدْ أَتَى الشِّتاءْ .

- " حَياتُنا هَباءْ " ..

بذاكَ تَمتَمَتْ ..

ومَزَّقَتْ بِهمسِها سَتائِرَ السُّكونْ

وأشْعَلَتْ لُفافَةً ..

وأردَفَتْ .. كَأنَّها تُحادِثُ الدُّخَانْ :

- " حَياتُنا خِدَاعْ ..

هُدوءُها تَمزُّقٌ .. وأَمنُها ضَياعْ ..
وصَفوُها يُغلِّفُ العَذابَ والصِّراعْ
وكُلُّها ذِئابْ ..
.. وكُلُّها جِياعْ ..
أَردْتُ أنْ أعيشَ فى مَبَاءَةِ الذِّئابْ ..
أأشربُ الدُّموعْ ؟
أآكلُ العَذابْ ؟
ولَيسَ لى بِهذِهِ الحَياةِ .. منْ صَديقْ ..
لِكَى يُقِيمَ سَقطَتِى .. فى عَثرَةِ الطَّريقْ ..
ولَيسَ مِنْ أَحدْ ..
ومَا مَلكْتُ ما أَبيعُهُ .. سِوَى الجَسَدْ
أردْتُ أنْ أُقاومَ الحَياةَ السَّاخِطةْ ..
فبِعْتُهُ .. ذَليلَةً .. لَهُمْ .. لِكى أَعِيشْ
وعِندَما انتصَرْتُ .. لَقَّبونِى .. سَاقِطةْ " !

لُفافَةُ العَجُوزِ فى الظَّلامِ تَحتَرِقْ ..
.. وتَبعَثُ الدُّخَانْ
لَشَدَّ ما هُمَا شَبيهَتانْ ..
قدْ أُشعِلَتْ ..
لِتبْعَثَ النَّشوَةَ فى الدِّماءْ ..

واحْترقَتْ .. يَضِجُّ منْ دُخَانِها الهَوَاءْ ..
لِكَى تَكونَ فِكرةً .. يَصُوغُها أَديبْ
أوْ بَيتَ شِعرٍ شَارِدٍ .. لِشاعرٍ غَرِيبْ
أو نَفثَةَ الشَّبابْ ..
أو صَحوَةَ المَشِيبْ ..
أو عَودَةً .. لِذكرياتِ عَاشِقٍ مَضَتْ
وخَلَّفتْ وَراءَها الدُّخَانَ .. واخْتفَتْ ..
.. ولَفَّها ضَبابْ
لذاكَ أُشعِلتْ
حتَّى إذا ما قَاربَتْ .. نِهايَةَ الحَياةْ
ونالَ مِنْ حَياتِها اللهيبُ .. ما اشْتهاهْ ..
.. هَوَى بِها القَدَرْ ..
كَئيبةً .. شَقيَّةً .. مَنبُوذَةَ الحُطامْ ..
يَدُوسُها القَطِيعْ ..
.. تَغُوصُ فى التُّرابْ ..
فقدْ مَضَى شَبابُها ..
.. مَضَى بلا شَبابْ ..
.. وأَقبلَ الشِّتاءْ ..